

المفاهيم المتنبسة ومكر التاريخ

أسامة عرابي

هل جاء حوار الدكتور جونل بنين رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط التابع للجامعة الأمريكية بجريدة «البديل» 10/26، وهجومه القديم - الجديد علي الأستاذ الدكتور رءوف عباس أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب - جامعة القاهرة، ليعكس حالة من حالات اللاأدرية واللايقين التي يعيشها عالم اليوم إثر المستجدات التي عصفت به علي مختلف الأصعدة؟ أم هو ضرب من الطهرانية الزائفة التي تحمل بعضًا من يقين الرأسمالية البروتستانتية القديمة؟.. علي أي حال.. هناك في كل سردتنام، إدراك لوعي ما، يستبصره المتلقي بنويًا ووظيفيًا. وهنا نتوقف عند الفقرة التي وردت في كتاب الدكتور «بنين» الذي حمل اسم العلم الأحمر.. هل كان يرفرف هناك؟ السياسات الماركسية والنزاع العربي - الإسرائيلي، وفيها يقول ما نصه: «يمكن تخيل - لاحظ تخيل هذه - أن نظامًا مصريًا أكثر ثباتًا في سعيه للسلام وأقل التزامًا بالقومية العربية، ربما كان قادرًا علي التوصل لتسوية مع إسرائيل مماثلة لتلك التي تحققت في 1979» ص 25.. وكان التاريخ يمكن تعليقه بالأمان، لا بمجمل الشروط الموضوعية التي اتسم بها المشروع الصهيوني منذ نشوئه.. أي نهوضه علي أساس التناقض الرئيسي بين نموه والمصالح التاريخية للشعوب العربية.. الأمر الذي من شأنه أن يفضح طبيعة الوجود الاستعماري الصهيوني في فلسطين والأهداف المرجوة من ورائه.

لذا كان طبيعيًا في هذا السياق أن يؤكد «بنين» (ص 24) أن التفرقة الصريحة ضد غالبية اليهود المصريين - الذين لم يكونوا شيوعيين ولا صهيونيين - واضطهادهم، لم تصبح شائعة إلا بعد مهاجمة إسرائيل لمصر في 1956.. وكلمة «اضطهادهم» الواردة في هذه العبارة، يكذبها «بنين» نفسه في كتابه «شتات اليهود المصريين» الذي يؤكد فيه أن صهيونية البعض كانت وراء إلقاء القبض عليه والذي شمل أيضًا الكثير من المسلمين والأقباط، ولم يكن وقفًا عليهم فقط.

كما يذكر الأستاذ لطف الله سليمان في كتابه «فلسطين.. نحو تاريخ بلا أساطير» الذي ترجمه الأستاذ محمد مستجير مصطفي، ص 136، أنه في أيام الامتيازات (قبل 1936) اختار كثير من اليهود جنسيات أجنبية، وبوجه خاص الجنسيات البريطانية والفرنسية.

ففي تلك الأيام، كان هذا يتيح لهم كثيرًا من المزايا. وبعد إلغاء الامتيازات - عقب معاهدة 1936 - احتفظوا بجنسيتهم البريطانية أو الفرنسية. وفي عام 1956 طردتهم حكومة عبدالناصر شأنهم في ذلك شأن كل البريطانيين وكل الفرنسيين الآخرين. ولم يكن بعض هؤلاء اليهود المطرودين يعرفون أن آباءهم قد اختاروا جنسية أجنبية، وكانوا يعتبرون أنفسهم مصريين.

غير أن «بنين» راح يحدد هدفه بوضوح لا لبس فيه علي النحو التالي: ورغم أننا قد لا نكون قادرين علي تعلم دروس تاريخ النزاع الفلسطيني/ العربي - الإسرائيلي، فإن دراسة ما حدث لأولئك الذين ناضلوا للحفاظ علي مبادئ تقرير المصير، والاعتراف المتبادل، والتعايش السلمي توفر جزءًا آخر. إذ تظل هذه القيم مهمة للنزاع حاليًا، والواقع أنها تحظى باعتراف مطرد باعتبارها مكونات أساسية في حل النزاع ص 31.. الأمر الذي حدا به إلي القول: لكن تفانيه - أي تفاني هنري كوربيل - الذي لا يهن لإقامة صلة بين العرب والإسرائيليين الساعين لتعايش سلمي، أمر ينبغي تقديره ص 142، 143 وتعلم الكافة أن «لهنري كوربيل» ورقة عنوانها باسم «ملاحظات» حول المشكلة الفلسطينية - لاحظ أن الصراع العربي - الإسرائيلي والقضية الفلسطينية في القلب منه، صارا محصن مشكلة فحسب - كان حريصًا علي تقديمها إلي كل مؤتمر تعقده «منظمة التضامن» التي أسسها كوربيل مع رفاق له آخرين، جاء فيها إننا

تنطلق من حق الجماعات الوطنية المقدس، والذي لا يسقط بالتقادم في أن تعيش في وطنها. إذن نحن نعترف بحق يهود إسرائيل في الوجود الوطني، ولكن هذا الحق يجب بالأحرى منحه لعرب فلسطين. صحيح أن كلاً من الطرفين ينكر حقوق الطرف الآخر المشروعة وبهذا فإنه يدافعنا عن حقوق الفلسطينيين العرب، فإننا لا ندافع عن قضية عادلة فحسب، بل نخلق الظروف المناسبة لاعتراق العرب بالحقوق الشرعية لليهود الإسرائيليين - راجع كتاب «هنري كوريبيل» رجل من نسيج خاص تأليف: جيل بيرو. ترجمة: لطيف فرج - ص 411.

لهذا لم يجد «جوزيف حزان» بأساً من الاتصال بهنري كوريبيل تليفونياً، والاتفاق معه في الرأي حول أن ذهاب السادات إلي القدس عمل طيب - المرجع السابق - ص 412. بعد ذلك يأتي السيد «بنين» ليهاجم في حوار «البديل» 10/26، وفي الهامش 78، ص 240، من كتاب «العلم الأحمر»، د. رعوف عباس والسيدة عزة رياض التي نهضت بترجمة كتاب «أوراق هنري كوريبيل» بدعوي أن المقدمة التي كتبها عباس ورياض تلخص الاتهامات التي وجهها إلي كوريبيل رفاقه السابقين وخصومه ومنافسيه. وللأسف فإنها تحتوي علي مغالطات وأخطاء كثيرة حول الحقائق والتفسيرات بما يعكس المشاعر المعادية للصهيونية بلا تمييز، والتي قد لا تراعي التمييز بين العداء للصهيونية والعداء للسامية السائدة حالياً بين المثقفين القوميين المصريين، وهو رد فعل مفهوم، وإن كان ضاراً لاتفاقية كامب ديفيد وفشلها في تأمين الحقوق القومية للفلسطينيين.. ولا يتواضع «بنين» فيجلو لنا علاقة الخلاف السياسي معه ومع كوريبيل بالعداء للسامية - تلك التهمة التي دأبت الصهيونية علي توجيهها إلي كل من يناقضها جذرياً - بفشل كامب ديفيد في تأمين الحقوق القومية للفلسطينيين؟ وبالمناسبة.. هل كان منوطاً «بكامب ديفيد» تأمينها أم إهدارها؟ تعالوا نتذكر ما قاله «موشيه دايان» عن هذه الاتفاقية والهدف من إبرامها، وذلك في الجلسة التي عقدها «الكنيست» في 1979/3/20، لمناقشتها واتخاذ القرار بشأنها: إن اتفاق السلام المصري الإسرائيلي المعروض علينا الآن، ليس اتفاق سلام رعوياً.. ولا تجسيداً لنبوءة يوم الآخرة القائلة: «ولا يرفع الغريب علي الغريب حربة».. إنه اتفاق سلام له ملاحقه العسكرية، ومعه وعود لزيادة قوة الجيش الإسرائيلي.. إن الاتفاق هو انتصار لإسرائيل، وانتصار لطريق إسرائيلي.. وعد «دايان» تسليم العرب بوجود إسرائيل، انتصاراً لإسرائيل.. فكيف يمكن الاتفاق مع «بنين» حول ما يدعو إليه من اعتراف متبادل وتعايش سلمي؟!.. في الوقت الذي يهاجم فيه كتاب المرحوم الأستاذ «عبدالمنعم الغزالي» «إسرائيل قاعدة للاستعمار وليست أمه» الذي أصدرته «دار الفكر» عام 1958، قائلاً ما نصه: فقد ادعي الغزالي وهو يستخدم حججاً تاريخية زائفة تفرط في التركيز علي مدي التأييد الأمريكي لإسرائيل وأهمية الاختلافات في السياستين الأمريكية والفرنسية في الشرق الأوسط، أن الفضل في وجود إسرائيل يرجع فقط للدعم المالي والعسكري الإمبريالي (الأمريكي في المحل الأول) ثم طالب بإزالة دولة إسرائيل وكل المؤسسات الصهيونية وإلغاء مشروع الأمم المتحدة لتقسيم وإنشاء دولة عربية في فلسطين كلها وبدلاً من مناقشة كتاب «الغزالي» مناقشة جادة، يلجأ «بنين» إلي إطلاق الأحكام المبتسرة والاتهامات، علي نحو ما أوردف به كلامه السابق قائلاً: بيد أن «دار الفكر» كان يديرها أعضاء حدتو السابقون المقربون لكوريبيل، واستعدادهم لنشر الكتاب يوضح تخليهم العنيف عن وجهة نظرهم التاريخية، ويعني نهاية محاولة الشيوعيين وضع منظور بديل لمنظور النظام الناصري بشأن حل النزاع العربي الإسرائيلي ص 174 من كتاب: العلم الأحمر.. إذن من لا يعترف بإسرائيل ويُطّبع معها، فهو قومي ناصري معادٍ للسامية وفق المنظور الصهيوني لـ«جونل بنين». وهو ما ذكرني بخطاب «دايان» الذي سلفت الإشارة إليه منذ قليل وفيه يقول ما نصه: تخلي السادات بعد حرب يوم الغفران عن التصور الناصري الذي كان يقول: إن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة. لقد تخلي عن النظرية الناصرية والمصرية القائلة: «إذا فشلنا هذه المرة فسنستعد للحرب القادمة» لقد تحول إلي طريق آخر تماماً، إلي طريق إقامة علاقات سلام مع إسرائيل، بدلاً من حالة الحرب.

ولماذا لم يعن «بنين» بالرد علي ما أثارته أستاذه الأدب الإنجليزي والمقارن بالجامعة الأمريكية د. فريال غزول، عن ذهابه إلي عميدة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية في الجامعة الأمريكية، وطلبه منها فصل أستاذه مرموقة في قسم الدراسات العربية من لجنة دراسات الشرق الأوسط لكونها وقعت علي الرسالة المشتركة - التي وجهت إلي جريدة الجامعة الأمريكية الأسبوعية «القافلة» مسجلة اعتراضها علي توجه نشرة مركز دراسات الشرق الأوسط التي يشرف عليها بنين، وتأييدها لإسرائيل - كما أنه طلب من الإدارة أن يعفي الطلاب من المواد التي يدرسها الموقعون علي الرسالة. وعلي الرغم من خرق الأستاذ جونل بنين لكل الأعراف الأكاديمية والجامعية بطلبه فصل من لا يتفق معه، فقد تم فصل الأستاذه المذكورة من اللجنة المشار إليها نزولاً علي رغبته وفق ما ورد في مقالها بجريدة «العربي» «عن تحولات الجامعة الأمريكية بالقاهرة: شاهدة من أهلها، بتاريخ 2007/5/27.. ثم استطرقت تقول: ومع أنه لم يحضر أي نشاط من الأنشطة المواكبة للقضية الفلسطينية بالجامعة الأمريكية، فهذا من حقه ولا يدان علي ابتعاده عن هذه الأنشطة، لكن عندما يوقع علي بيان يقول أصحابه: نحن اليهود الإسرائيليين.. نحن يهود إسرائيل (البيان علي الشبكة الإلكترونية بتاريخ 2004) فماذا يعني هذا غير أنه يوقع بصفته إسرائيلياً، كما استنتج رعوف عباس في مقاله في العربي بتاريخ 2007/5/20.

أليس في مناقشة هذه الأفكار وسواها، حضور لهوية، وتأكيذ لذات، كما علمنا «جاك دريدا» في قراءته «لهوسرل»؟ ثم .. كيف يمكن يا «د. بنين» تناول تاريخ اغتصاب فلسطين، بمنأى عن «عقيدة الترانسفير» القارة والراسخة في الفكر الصهيوني

http://www.elbadeel.net/index.php?option=com_content&task=view&id=2837&Itemid=39